بلاغة الإقناع

في الرفق دعوة وسلوكًا

في الأحاديث النبوي

إعداد

د. عايدة عبد العزيز محمد زعلوك

استاذ مساعد بقسم البلاغة والنقد - كلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنات بالزقازيق - جامعة الأزهر

بلاغة الإقناع في الرفق دعوة وسلوكًا في الأحاديث النبوية

عايدة عبد العزيز محمد زعلوك

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق – جامعة الأزهر

البريد الإلكتروني: ayidaabdelaziz@gmail.com

المستخلص:

يعد موضوع الإقناع من الموضوعات المهمة التي لقيت اهتمامًا واسعاً في الدراسات البلاغية باعتباره موضوعاً مهمًا يحرص على استمالة المتلقي والتأثير فيه؛ لذا يأتي اختياري موضوع بحثي في بلاغة الإقناع في الرفق دعوة وسلوكاً في الأحاديث النبوية ؛ لسببين : الأول :أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم النموذج الأعلى فصاحة وبيانًا بعد كلام الله – عز وجلّ أما الآخر : فهو بيان بلاغة الإقناع في رفق النبي صلى الله عليه وسلم دعوة وسلوكًا من خلال أحاديثه الشريفة ؛ إذ إنه صلى الله عليه وسلم النموذج الأعلى في ذلك، وقد اتبع البحث المنهج الوصفي القائم على تحليل بلاغة النظم النبوي ، وبيان طرق إقناعه في أحاديثه المتضمنة للرفق دعوة ومنهجًا، ودل ذلك على مدى حرصه – صلى الله عليه وسلم – على أمته في أن تسلك الرفق في كافة أعمالها، إذ إنه صلى الله عليه وسلم المثل والنموذج في ذلك.

وكان من أبرز نتائجه أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – سلك في بيان الرفق مسلكاً واضحاً في التنويع بين الأسلوبين الخبري والإنشائي واختيار التراكيب الدالة والصور البيانية؛ لإقناع المتلقي بالرفق؛ لأنه منهج الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

الكلمات المفتاحية : بلاغة الإقناع – الرفق – دعوة – وسلوكا – الأحاديث النبوية .

Abstract "

The subject of persuasion is one of the important topics that have received wide attention in rhetorical studies، as it is an important topic that is keen to attract and influence the recipient. Therefore، my choice of the topic of my research comes in the eloquence of persuasion in kindness as an invitation and behavior in the prophetic hadiths، for two reasons: the first is that the words of the Prophet، may God bless him and grant him peace، are the highest model of eloquence and a statement after the words of God - the Almighty -، while the other is the statement of the eloquence of persuasion in the kindness of the Prophet، may God bless him and grant him peace He، peace and blessings of God be upon him، is an invitation and a behavior through his honorable hadiths; As he، may God's prayers and peace be upon him، is the highest model in this، and the research has followed the descriptive approach based on analyzing the eloquence of the Prophet's systems and explaining the ways to convince him in his hadiths that include kindness as a call and an approach. In all of her actions، he used the eloquence of persuasion in this، so he، may God's prayers and peace be upon him، called for kindness، as was - may God's prayers and peace be upon him - an example and a model in that.

One of its most important results was that the Messenger - may God's prayers and peace be upon him - took a clear path in explaining kindness in diversifying between the declarative and structural methods and choosing indicative structures and graphic images، to convince the recipient of kindness; Because it is the approach of the prophets، may God's prayers and peace be upon them.

Keywords: Rhetoric of persuasion - kindness - invitation - and behavior - prophetic hadiths -.

المـــــقــدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وصار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالإقناع هو التأثير في الفرد أو الجماعة من خلال عمليات فكرية تدفع الشخص إلى القيام بما يطلبه منه المتكلم، فالله عز وجل رفيق يحب الرفق، والرسول صلى الله عليه وسلم سهل لين في تعامله وفي أقواله وأفعاله، وكان يحب الرفق ويدعو الناس إليه فبين – صلى الله عليه وسلم – لنا في كلماته الجامعة الموجزة أهمية الرفق في حياة الفرد والمجتمع ودل ذلك على مدى حرصه – صلى الله عليه وسلم – على أمته في أن تسلك الرفق في كافة أعمالها ، وكان صلى الله عليه وسلم المثل والنموذج في ذلك.

سبب اختيار الموضوع:

وقد اخترت هذا الموضوع؛ لجدته ولأن الأحاديث اشتملت على آليات إقناع المتلقي ببلاغة دقيقة بين أجزاء الكلام.

الهدف من البحث:

تجلية مواطن الإقناع في دعوته وسلوكه صلى الله عليه وسلم للرفق، من خلال ما تضمنته من أسرار بلاغية لغرض التأثير والإقناع للمتلقي.

الدراسات السابقة:

كثرت الدراسات التي تناولت الإقناع وآلياته، ومن أبرزها:

*بلاغة الإقناع في الخطاب الإعلامي " دراسة في ضوء البلاغة الجديدة " أ. هشام صويلح

*الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية للباحث حسن المودن كلية الآداب مراكش .

لكنني لم أقف على كتاب أو دراسة – بحسب علمي– تناولت الموضوع وأحاطت ببلاغة الإقناع في الرفق في الأحاديث النبوية.

منهج البحث:

اتبع البحث المنهج الوصفي القائم على تحليل بلاغة النظم النبوي، وبيان طرق إقناعه في أحاديثه المتضمنة للرفق دعوة ومنهجًا، ودل ذلك على مدى حرصه – صلى الله عليه وسلم – على أمته في أن تسلك الرفق في كافة أعمالها، إذ إنه صلى الله عليه وسلم المثل والنموذج في ذلك.

حدود الدراسة:

سيقف البحث بالدراسة البلاغية التحليلية لطرق الإقناع في مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة التي تشير إلى الرفق دعوةً وسلوكاً (نص الأحاديث في ص ١١-١٢ من المدخل).

خطة الدراسة:

جاء البحث في: مقدمة ومدخل ومبحثين وثبت بالمصادر والمراجع.

- المقدمة: تناولت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، والمنهج المُتَّبع في البحث، وحدوده، وخطته.
- المدخل: ويشتمل على:

أولًا: تعريف الإقناع لغة واصطلاحًا.

ثانيًا: تعريف الرفق وأهميته.

ثالثًا: بلاغة الحديث النبوي.

رابعًا: الأحاديث الواردة في البحث.

المبحث الأول: بلاغة الإقناع في دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – للرفق.

المبحث الثاني: بلاغة الإقناع في سلوك الرفق للنبي – صلى الله عليه وسلم.

١) رفقه صلى الله عليه وسلم بغير المسلمين.

٢) رفقه بالجاهل من غير تعنيف.

٣) رفقه بالحيوان.

٤) رفقه بالخادم

٥) رفقه بالدين

٦) رفقه بالمرأة ورفقه بالرضيع وأمه

–الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.

–ثبت المصادر والمراجع.

–فهرس الموضوعات.

- **المدخل**

أولاً: تعريف الإقناع لغة واصطلاحًا.

ثانياً: التعريف بالرفق وأهميته

ثالثاً: بلاغة الحديث النبوي.

رابعاً: الأحاديث الواردة في البحث.

أولاً: تعريف الإقناع لغة واصطلاحًا.

الإقناع:

الإقناع لغة: جاء في لسان العرب في مادة " قنع" قنع نفسه قنعاً وقناعه: رضى ورجل قنعان يرضى باليسر والقنوع: السؤال والتذلل للمسألة.

والإقناع: رفع الرأس والنظر في ذل وخشوع والإقناع من يقنع البعير رأسه إلى الحوض للشرب وهو مد رأسه. (١)

أما الإقناع اصطلاحًا فهو:

١- عند الجاحظ: عنى الجاحظ ببلاغة الإقناع والإفهام ووظيفتيهما حيث عرف علم البيان بقوله: " البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ... والغاية أن يجرى إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام " (٢)

٢- عرف الخوارزمي الإقناع في كتابه " مفاتيح العلوم " بقوله: أن يعقل نفس السامع الشيء بقول يصدق به وإن لم يكن ببرهان " (٣)

---

(١) لسان العرب – ابن منظور – مادة قنع.

(٢) البيان والتبين صـ ٧٦ جـ ١ الجاحظ

(٣) مفاتيح العلوم لـ محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي – تحقيق إبراهيم الأبياري ط٢ ، دار الكتاب العربي للنشر ص ١٧٧.

فترى الخوارزمي يشترط الصدق في القول حتى تقنع الآخرين، فالإقناع تأثير وتأثر على الفرد أو الجماعة.

٣- **السكاكي : الإقناع عنده ظهر في بلاغة الاستدلال واللزوم في البيان،** فيرى السكاكي أن الاستدلال البلاغي هو: (عملية خطابية يتم بموجبها اتخاذ علامة مادية أو معنوية وجعلها شاهداً أو مثالاً على شيء أو صفة من صفاته) فالبيان عنده (مطابقة الكلام لتمام المراد منه)[١] فالكلام لا يقف عند البلاغة الوضعية بل يتجاوزها إلى الدلالة العقلية ف (إيراد المعنى الواحد على صورة مختلفة لا يأتي إلا في الدلالات العقلية، وهي الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما كلزوم أحدهما لآخر بوجه من الوجوه ظهر أن علم البيان مرجعه الملازمات بين المعاني)[٢].

٤- **عرف حازم القرطاجي الإقناع بقوله: " إنهاض النفوس إلى فعل شيء أو طلبه أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو طلبه أو اعتقاده "[٣]**

فالإقناع الغرض منه إحداث التأثير في الفرد أو الجماعة من خلال عمليات فكرية وشكلية.

٥- **ابن وهب : اهتم بالاتجاه الإقناعي وذلك حين اعتبر وجوه البيان عن العملية العقلية** في كتابه (البرهان في وجوه البيان) فنلمح في هذا الكتاب آثار الاتجاه العقلي ... والعقائدي من خلال تقسيمه صور التعبير ودرجات البيان ومراتب البلاغة (فهو لم ينظر إلى البيان بوصفه قضية

---

(١) مفتاح العلوم ص٥٤٢.

(٢) مفتاح العلوم ص ٣٣٠.

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ١٠٦ ، تحقيق الحبيب بن الخواجة – الدار العربية للكتاب – تونس – ٢٠٠٨

بلاغية بحسب وإنما قضية منطقية أيضاً تعتمد على الاستدلال وإقامة الحجة.[١]

ثانياً تعريف الرفق:

الرفق لغة : "يقول ابن فارس : الراء والفاء والقاف أصل واحد يدل على موافقة ومقارنة بلا عنف فالرفق خلاف العنف وفي الحديث " إن الله جل ثناؤه يحب الرفق في الأمر كله " ، هذا هو الأصل ثم يشتق منه كل شيء يدعو إلى راحة وموافقة يقال رفق بالأمر وله وعليه يرفق رفقاً"[٢]

أما الرفق اصطلاحاً: فهو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف. [٣]

أهمية الرفق :

جبلت النفس الإنسانية على حب من أحسن إليها، وأيضاً على النفور من الفظ الغليظ قال الله تعالى مخاطباً رسوله – صلى الله عليه وسلم –: " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ" [٤]

وهذا في كل أمر من أمور الحياة فبالرفق تجلب المودة، وترجى الرحمات وهو عنوان سعادة العبد في الدارين ودليل على صلاحه وحسن خلقه وبالرفق ينشئ مجتمعاً خالياً من الغل والحقد والعنف ويثمر المحبة في المجتمع.

---

(١) البرهان في وجوه البيان ص ٨٧ لابن وهب.

(٢) مقاييس اللغة (٤١٨/٢)

(٣) فتح الباري لابن حجر (٥٥٢/١٠)

(٤) آل عمران (١٥٩)

ثالثاً بلاغة الحديث النبوي :

الحديث النبوي في الذروة، من البيان ولا يعلوه إلا كتاب الله – عز وجل – فحديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم – " هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثرت معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف .... واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب والوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ..... ، لم تسقط له كلمة ولا زلت به قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار ..... ، ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج إلا بالحق ولا يستعين بالخلابة .....، ولم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أقصد لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح معنى ، ولا أبين في فحوى من كلامه – صلى الله عليه وسلم – ".[١]

رابعًا" الأحاديث " موضع الدراسة:

١) عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يميناً وشمالاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه.[٢]

---

(١) البيان والتبين (٢ / ١٧)

(٢) الترمذي كتاب البر والصلة والآداب باب فضل الرفق– حديث ٨٨ – ص ٢٥٩٤

٢)) عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنهما عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " من أُعطي حظه من الرفق فقد أُعطي حظه من الخير ومن حُرِم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير ". [١]

٣) عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن الله عز وجل رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف " أخرجه أبو أحمد وأبو داود (٢)

٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه. أن غلاماً من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فأناه صلى الله عليه وسلم يعوده وهو بالموت فدعاه إلى الإسلام فنظر الغلام إلى أبيه وهو عند رأسه فقاله له أبوه أطع أبا القاسم فأسلم ثم مات فخرج رسول الله –صلى الله عليه وسلم – من عنده وهو يقول " الحمد لله الذي أنقذه بي من النار " [٣]

٥) ما رواه أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : " بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُوْلِ اللهِ – ﷺ – إِذْ جَاء أَعْرَابِي ، فَقَام يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ أَصْحَاب رَسُول اللهِ – ﷺ – : مَهْ مَهْ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ – : لَاْ تَزْرُمُوه [٤] ، دَعُوْهُ ، فَتَرَكُوْه حَتَى بَالَ ثُمْ إِنَّ رَسُولَ اللهِ – ﷺ – دَعَاهُ فَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدُ لَا تُصْلُحْ لِشَيء مِنْ هَذَا الْبَوْلَ وَلَا القَذِر ، إِنَّمَا هِي لِذِكْرِ اللهِ – عَزَّ

---

(١) الترمذي كتاب البر والصلة – باب ما جاء في الرفق (٢٠١٣).

(٢) رواه أبو داود – كتاب الأدب ، باب في الرفق ٤٨٠٧.

(٣) حديث صحيح مسند أحمد ج ٢١–١٣٧٥.

(٤) الإزرام : هو القطع ، والمعنى : لا تقطعوا عليه بوله ، لسان العرب (زرم) ،مختار الصحاح (ص ١١٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٠١/٢).

وَجَل – وَالصَلاَةُ وَقِرَاءةُ الْقُرْآن ، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولَ اللهِ – ﷺ – ، قَالَ : فَأَمَرَ رَجُلاً مِنْ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْو مِنَ مَاءِ فَشَّنَهُ [١] عَلَيْهِ [٢] .

٦) روى أبو داود عن سهل بن الحنظلية قال : مر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال : " اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة. (٣)

٧) عن أنس بن مالك قال : خدمت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عشر سنين والله ما قال لي " أفاً قط ولا قال لي لشيء صنعته لِمَ صنعته ولا لشيء تركته لِمَ تركته وكان رسول الله من أحسن الناس خلقاً "[٤]

٨) عن أنس بن ملك – رضي الله عنه – قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق "

---

(١) فشنه : أي صبه ، لسان العرب (٢٤٢/١٣).

(٢)أخرجه البخاري في كتاب الوضوء – باب ترك النبي – صلى الله عليه وسلم – والناس ألإعرابي حتى فرغ من بوله في المسجد ٨٩/١ (٢١٦) وفي باب صب الماء على البول في المسجد ٨٩/١ (٢١٧) وفي كتاب الأدب – باب الرفق في الأمر كله ٢٢٤٢/٥ (٥٦٧٩) ومسلم في كتاب الطهارة – باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد ٢٣٦/١ (٢٨٥) وأبو داود في كتاب الطهارة – باب الأرض يصيبها البول ١٠٣/١ (٣٨٠) والنسائي في كتاب الطهارة – باب ترك التوقيت في الماء ٤٧/١ (٥٣) وابن ماجة في كتاب الطهارة وسننها – باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل ١٧٦/١ (٥٢٨) وأحمد بن حنبل (١٩١/٣).

(٣) صحيح أبو داود للألباني حديث ٢٢٢١.

(٤) أخرجه البخاري (٦٩١١) ومسلم (٢٣٠٩).

٩) عن أنس بن مالك – رضي الله عنه قال: " كان النبي – صلى الله عليه وسلم – في مسير له فحدا الحادي فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – ارفق يا أنجشة ويحك بالقوارير ".(١)

١٠) عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم – " إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه "(٢) .

(١) صحيح البخاري ٢٥/٨ (٦١٤٩).

(٢) رواه البخاري – كتاب الأذان – باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي (١٤٣/١) برقم ٧٠٧..

المبحث الأول

بلاغة الإقناع في دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – للرفق.

١) عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يميناً وشمالاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه ".(١)

استعان الرسول – صلى الله عليه وسلم –بأسلوبه البليغ لتوضيح قيمة الرفق، وأنه لا يدخل في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه "، فجذب انتباه المتلقي وجعله مقبلاً عليه بـ " ببراعة الاستهلال وهو أول شيء يدخل الأذن وأول معنى يصل إلى القلب؛ ليجذب الانتباه ويوقظ الأذهان ".

فبراعة الاستهلال: هي إشارة إلى المقصود من أول وهلة للوصول إلى النتيجة والتأثير في المتلقي وإقناعه، وفي الحديث أيضاً حسن ابتداء وقد أشاد بهذا اللون أبو هلال العسكري " إذا كان الابتداء حسنًا بديعاً ومليحاً رشيقاً كان داعياً إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام. .(٢)

" إنه" أي : الرفق ، خص الابتداء بالجملة الاسمية لتنبيه المخاطب وإثارة الفكر إلى ما حكم به المبتدأ فأكد كلامه– صلى الله عليه وسلم – على أن الرفق يزين الشيء ، والتوكيد مستفاد من دلالة الاسمية على الثبوت والدوام ولذلك أكده بأكثر من مؤكد " إن " واسمية الجملة.

المخاطبون لا ينكرون أن الرفق مطلوب ولا يترددون في قبوله، فكان يجب أن يلقي عليهم الخبر خاليًا من التوكيد ولكن نزل لهم الخبر منزلة المتردد

---

(١) الترمذي كتاب البر والصلة والآداب باب فضل الرفق– حديث ٨٨ – ص ٢٥٩٤

(٢) الصناعتين : ص ٤٣٧

أو الشاك فجاء الخبر على خلاف المقتضى الظاهر وألقي إليهم الخبر مؤكدًا لأنه تقدم ما يلوح لخالي الذهن هذا الخبر ويشير إليه وهو قوله :-صلى الله عليه وسلم – "عليك بالرفق " ومن ثم صار المخاطب يتطلع إلى هذا الخبر تطلع الطالب له والمتردد بشأنه المتسائل : لماذا علي بالرفق وهل لذلك سبب فكان الجواب أن الرفق **لا يدخل في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه.**

ولهذا الخبر مكانته في البلاغة العربية حيث أشار إليه الإمام عبد القاهر بقوله :" فاعلم أن معاني الكلام كلها لا تتصور إلا فيما شيئين الأصل والأول هو الخبر ومن الثابت في العقول والقائم في النفوس أنه لا يكون خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه" .[1]

*من عناصر السبك المتوافرة في الحديث استخدام القصر بطريقة النفي والاستثناء الذي يعتمد على الإيجاز؛ ليضفي على المعنى قوة وتوكيداً حيث يؤكد ما من شأنه أن ينكره المخاطب أو يجهل عليه؛ لأنه لما ظهر عليهم عدم الرفق في الأمور كان حالهم حال المنكر للأمر أو الجاهل به.

فالسياق من جانب والقصر بطريقة النفي والاستثناء من جانب آخر أكسبا الحديث بعداً بلاغيًا ، فأسلوب القصر أعطى صورة متكاملة عن المعنى المنشود بأقوى السُبل وهو "النفي والاستثناء" ؛ لتوضيح أن الجمال في الرفق يقول الإمام عبد القاهر: (وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو ما هذا إلا كذا وإن هو إلا كذا فيكون لأمر ينكره المخاطب ويشك فيه فإذا قلت ما هو

(1) دلائل الإعجاز -٥٤ .

إلا مصيب أو ما هو إلا مخطئ قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته، وإذا رأيت شخصاً من بعيد قلت ما هو إلا زيد لم تقله إلا وهو صاحبك يتوهم أنه ليس بزيد وأنه إنسان آخر).[١]

" وما نزع من شيء إلا شانه " : هذه الجملة تكرار لمعنى الجملة السابقة فأتى بالنفي والاستثناء ليضفي على المعنى قوة وتوكيداً وتقرير المعنى في ذهن المتلقي ، والتكرار عمل على توكيد المعنى المراد فالترديد لفكرة معينة تكون لإقناع المتلقي .

وترى المحسن البديعي المعنوي المقابلة "**لا يدخل في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه** "لها دور مهم في بيان مراده – صلى الله عليه وسلم – فالمقابلة أكدت ووضحت المعنى من خلال التضاد بين المعاني ، فإخراج المعنى في صورة التضاد رسم البعد الشاسع بين المعنيين؛ ليصل المعنى إلى المتلقي في صورة واضحة إذ الضد أقرب بالبال عند ذكر ضده،

كما أن المحسن البديعي في قوله " زانه وشانه " بينهما جناس غير تام (جناس مضارع) ؛لأن الاختلاف في الزاي والشين وهما متقاربان في المخرج، ولا يخفي ما أشاعه حرف الشين من تفشي العيب وانتشاره، فالمحسن البديعي أضفى على المعنى وضوحاً وعلى الألفاظ عذوبة وجمالاً بماله من إمكانات تعمل على المستوى الخارجي " الجناس " والداخلي " الطباق " ، وربط بين المستويين الصوتي والدلالي وهو ما أضفى على الحديث ثراء إيقاعياً واضحاً ،و حقق جرساً موسيقياً تميل الأذان إلى سماعه

(١) دلائل الإعجاز ص ٢١٢.

من خلال تكرار بعض حروف الكلمة والسياق الكلي للحديث الذي يحث كل مسلم على الرفق وأنه زينة الشيء وإذا نزع من الشيء أصبح مشيناً.

فترى السبك الصوتي المتولد من الجناس له دور في تماسك الحديث وترابطه، فالموسيقى لها دور في ميل الأسماع والإصغاء وهذا التوافق الصوتي له وقع في نفس السامع لغرض الإقناع والتأثير.

" وأنه لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه "

المقابلة بين الجملتين؛ لزيادة المعنى وضوحاً وجمالاً من خلال الموازنة اللطيفة التي وضحت أن الزينة في الرفق وأن القبح في عدم الرفق، فالمقابلة كان لها الأثر في إبراز التناقض، فجعلت الصورة واضحة أمام المتلقي،

فتمكن المعنى في النفس فحدث الإقناع والتأثير فترى توازن الفقر المسجوعة لها حسنها وجمالها؛ لأن السجع يؤثر في النفوس ويجذب الآذان إليه لما يحدثه من نغمة موسيقية فتطرب له الآذان ،فيتمكن المعنى في النفس ،فيحدث الإقناع والتأثير .

وترى بين الجملتين سجعًا مرصعًا وهو : ما اتفقت فيه ألفاظ الفقرتين أو أكثر ألفاظها في الوزن والقافية وسمي مرصعاً تشبيهاً له بترصيع اللؤلؤ في العقد بوضع كل لؤلؤة في أحد جانبي العقد على نسق نظيرتها في الجانب الآخر من العقد وهو ما أكسب الكلام حسناً وبهاءً ولا يخفي ما للسجع المرصع من نغمه موسيقية تؤثر على النفوس ، وتجعلها تميل إلى سماعه من غير ملل ولا فتور وهذا ما يضفي على المعنى من موسيقى داخلية تطرب لها الآذان ، فالإيقاع الموسيقي له وقع على الآذان كما أنه أتى عفو الخاطر من غير تكلف مما يجعل النفس تشعر بحلاوة ألفاظه .

٢) عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من أُعطي حظه من الرفق فقد أُعطي حظه من الخير ومن حُرِم حظه من الرفق فقد حُرم حظه من الخير ". (١)

يبين لنا الرسول – صلى الله عليه وسلم – في كلماته الموجزة الدقيقة أهمية الرفق، وأن من أُعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم أيضاً من الخير"

والموصول " من " متضمن معنى الشرط، فعرف المسند إليه بالموصولية " من " للإشارة إلى وجه بناء الخبر حيث إن مضمون الصلة " أُعطي حظه من الرفق " يتناسب مع مفهوم الخبر " أُعطي حظه من الخير " فالتعبير بالموصولية أشار إلى نوع بناء الخبر وتحقق التوافق بينهما " وهذا اللون من النظم له روعته وبلاغته وبهاؤه ورواؤه وإمتاعه وإقناعه، وفيه انسجام النفس وتوازنها لمجيئه على مألوفها فأتت معه في ثراء من المعنى...وهو في ذلك كله دعوى تحمل دليلاً فكل مقدمة تنطق بنتيجتها وكل نتيجة تتطابق مع مقدماتها. (٢)

فما وضع الرسول – صلى الله عليه وسلم –الشرط في مفتتح كلامه إلا لإثارة انتباه المخاطب ولحضه على امتثال الرفق؛ لينال الخير.

(١) الترمذي كتاب البر والصلة – باب ما جاء في الرفق (٢٠١٣).

(٢) المعاني في ظلال النظم القرآني ١٨٦/١ ، أ هاشم الديب.

في قوله (فقد أُعطي) الفاء للمسارعة في حصول النتيجة، (وقد حرم) كرر قد والفعل الماضي؛ للتوكيد وتقويه المعنى وأن هذه الأفعال محققة لا محالة.

ويفيد اسم الشرط " من " في الحديث معنى العموم فهو موجه إلى المسلمين جميعاً؛ لأن " من " اسم مبهم أغنى بإبهامه عن ذكر ما لا يعد ولا يحصى.

" من أُعطي حظه من الخير ": جاءت الجملة خبرية بعد اسم الشرط ؛ليجعل الخبر صادقاً وهذا الخبر من الرسول – صلى الله عليه وسلم – فهو صادق لا محالة ، في قوله (فقد أعطي حظه من الخير) " الفاء " من روابط الجمل في الحديث الشريف أحدثت لوناً من التماسك والتقوية في التركيب ؛لتربط بين جملتي فعل الشرط وجوابه فهي أداة ربط واستنتاج جمعت بين قضيتين وما بعدها متسبباً عما قبلها ، و جاء جواب الشرط متلاحقاً مع فعل الشرط ؛ليربط النتيجة بالمقدمة حتى تصل إلى الهدف المراد لمن كان متصفاً بالرفق، فيناله الخير كله.

فكان لحرف (الفاء) وظيفة الربط والاستنتاج فضلاً عن وظيفتها الشكلية، وهي العطف والوصل بين الجمل.

فمن أراد أن يصل إلى الخير كله فلابد أن يكون متصفاً بالرفق، فجاءت الصياغة ووضعت النتيجة أمام المتلقي واستقرت في نفسه؛ لأن في استحضار الخير كله ما يحقق بلوغ الغاية، والمراد من ذلك الحث على الرفق وهذا مقصد الحديث ومن ثم يكون اتصاف المسلم بهذه المقدمة يؤدي إلى بلوغ النتيجة وهي الخير كله، وهذا من خلال الشرط وجزاء المتتابعين في أسلوب الشرط ، وهذه الصياغة اللغوية أضفت على التعبير سمواً وروعة

وبلاغة فالتوافق بين المقدمة والنتيجة لأجل الإقناع من سمات الأسلوب النبوي.

" ومن حُرم حظه من الرفق فقد حُرم حظه من الخير " وصل الجملة بما قبلها للتوسط بين الكمالين حيث اتفقتا في الإنشائية لفظاً ومعنى، وجاءت جملة الشرط فعلية ليراد منها التجدد والحدوث في آن واحد فمن حرم من الرفق فقد حرم من الخير ، ثم جاء أسلوب الشرط متصدراً بـ " من " وهي لا تستخدم إلا مع الذات العاقل ليدل على أن هذا الفعل مما يجدر بالعقلاء طلبه والحرص عليه ،ثم جاء الجواب؛ ليربط بين النتيجة ، وترى تكرار " من " أحدث تناسقًا صوتيًّا واضح الدلالة للحث على الرفق من خلال أسلوب الشرط حيث ربط حصول الخير بمن امتثل الرفق وفي هذا الترابط والتلاحم بين الشرط والجزاء ما يدعو إلى امتثال الرفق طمعاً في حصول الخير من عند الله وما تكرار الشرط وجوابه إلا للتركيز على الفكرة وللتأثير في المتلقي وإقناعه.

وقد حققت المقابلة هنا نوعاً من التناغم والتناسب بين العبارتين وهذا التناسب جاء عفوياً لا تكلف فيه ، ووضحت المقابلة حال من اتصف بالخير فأوتي حظه من الخير ومن حرم من الرفق حرم حظه من الخير، وأبرزت التفاوت بين الحالتين وأن بينهما بوناً شاسعاً فكان لها أثر على الاسلوب فأكسبته قوة وتماسكًا.

فوضع المتناقضات أمام بعضها يوضح المعنى ويقويه ويؤثر ذلك في المتلقي ويقنعه فلا شك أن للمقابلة تأثيرًا في نفس المتلقي ما لا يخفي .

وفي المحسن البديعي رد العجز على الصدر في قوله " حظه من الخير " في الجملة الأولى و " حظه من الخير " في الجملة الثانية، حيث إن تكرار

ذكر حظه من الخير له دلالة قصدها الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهي تتناسب مع السياق أيما تناسب فذكر حظه من الخير مرة ثانية منح صورة ثانية من صورة المعنى ، وكأنه ذكره مرة ثانية بصورة مختلفة ليؤكد المعنى المطلوب فرد العجز على الصدر له نغمة موسيقية تصغي لها الآذان، وتعمل على توكيد المعنى وتقريره فيتصل بالنفس والوجدان ويعمل الفكر الإقناعي وللتأثير فيه.

وأيضاً ترى تكرار حرف الراء في الحديث " الرفق – الخير – حرم " هذا التكرار أحدث نوعاً من التأثير القوي في المتلقي باستقرار كلمة الرفق والخير في الأعماق وهذا التكرار الإيقاعي من خلال الموسيقى اللفظية له أثر في جذب المتلقي وإقناعه وترسيخ المعنى في ذهنه وترى الدافع وراء هذا التكرار هو تسليط الضوء على كلمتي الرفق والخير وجذب انتباه السامع فالتكرار يزيد الشيء المكرر وضوحاً مما يسهم أيضاً في التأثير وإقناع المتلقي.

يقول أبو هلال العسكري : " إن لرد الأعجاز على الصدور موقعاً جليلاً في البلاغة وله في المنظوم خاصة محلاً خطيراً ".

وفي هذا توكيد للمعاني وتقريرها لأن المعنى عندما يكرر أو يذكر مجانساً لآخر يتأكد معناه في ذهن السامع ويتقرر" .[1]

(1)الصناعتين صـ ٤٠٠.

٣) عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف " أخرجه أبو أحمد وأبو داود(١)

جاءت عبارات الحديث واضحة بعيدة عن الغموض خالية من التعقيد ، يبدأ الحديث بقوله " إن الله عز وجل رفيق يحب الرفق " وفي ذلك براعة استهلال وهو أول شيء يدخل الآذان، وأول معنى يصل للقلب لجذب الانتباه ، فجذب انتباه المتلقي وجعله مقبلاً عليه ، كما أن فيه حسن ابتداء؛لأن فيه داعية للاستماع لما يجيء بعده ، وافتتح الحديث بالجملة الخبرية وخص الابتداء بالجملة الاسمية للدلالة على الثبوت والاستمرار ؛ لغرض توكيد الرفق الذي يحبه الله عز وجل ،

فكأنه يقول إن حب الله عز وجل للرفق دائم ، وفي هذا تنبيه للمخاطب وإثارة فكره، مما يغريه بالامتثال فالرسول – صلى الله عليه وسلم – اختار الألفاظ السهلة والتراكيب الواضحة ؛ليصل المعنى إلى القلب فيهذبه ويرققه.

وفي قوله : "ويعطي عليه ولا يعطي على العنف " :

عطف بين الجملتين للتوسط بين الكمالين حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظاً ومعنى ،وقام التكرار بدوره في ترابط النص حيث تكررت كلمة " يعطي " مرتين وقد حقق هذا التكرار ترابطاً وتماسكاً بتكرار كلمة من النص لتوكيد دلالتها.

(١) رواه أبو داود – كتاب الأدب ، باب في الرفق ٤٨٠٧.

وترى المحسن البديعي الطباق بين كلمتي " الرفق " و " العنف " ؛ يؤكد المعنى ويوضحه ؛ويعبر عن حب الله للرفق وأنه يعطيه عليه ما لا يعطى على العنف ، وهذا يوحي بحرص الرسول – صلى الله عليه وسلم – على أن يدعو المسلمين إلى الرفق ويبعدهم عن العنف وأيضاً أبرز المعنى ووضحه من خلال الألفاظ المتضادة التي أثارت ذهن المتلقي وخياله ،فيؤثر ذلك فيه ويقنعه وكان للطباق أهميته في الربط بين الجمل. ،

فبين لنا الحديث الشريف في كلماته الجامعة الموجزة الدقيقة أهمية الرفق في حياة الفرد والمجتمع ويدل على مدى حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم – على أن يدعو أمته إلى الرفق ، إذ يجب على المؤمن أن يتصف بالرفق ويبغض العنف؛ ليحيا المجتمع حياة تملؤها الرفق واللين. ، فترى الحديث في غاية البلاغة من جمال التعبير وحسن النسق وقلة الألفاظ وكثرة معانيها.

المبحث الثاني

بلاغة الإقناع في سلوك الرفق للنبي – صلى الله عليه وسلم

١) رفقه صلى الله عليه وسلم بغير المسلمين.

٢) رفقه بالجاهل من غير تعنيف.

٣) رفقه –صلى الله عليه وسلم –بالحيوان .

٤) رفقه – صلى الله عليه وسلم –بالخادم .

٥) رفقه – صلى الله عليه وسلم –بالدين

٦) رفقه – صلى الله عليه وسلم –بالمرأة وبالطفل الرضيع وأمه .

١ –رفقه بغير المسلمين

عن أنس بن مالك رضي الله عنه. أن غلاماً من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فأتاه صلى الله عليه وسلم يعوده وهو بالموت فدعاه إلى الإسلام فنظر الغلام إلى أبيه وهو عند رأسه فقاله له أبوه أطع أبا القاسم فأسلم ثم مات فخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم –من عنده وهو يقول " الحمد لله الذي أنقذه بي من النار"(١)

(الحمد لله) أي الثناء الكامل على الله سبحانه وتعالى، وهي جملة اسمية فيها إقرار بكماله تعالى ، ومتضمنة لجميع صفات الكمال والجلال ، وهي إقرار بوحدانيته ، فالله وحده متفرد بالحمد في الدنيا و الآخرة، فهو المحمود الثابت له الحمد في الدنيا والآخرة على جهة التفرد إذ لا يشاركه في الحمد غيره ، ففي الآية حمد وتوحيد ، و " الحمد لله " أفضل الدعاء ، وأولى النعم.

(الحمد) الألف واللام للاستغراق الجنسي، فهي تستغرق جميع المحامد والشكر الكامل لله سبحانه وتعالى، ولو أسقطت الألف واللام؛ لدل ذلك على الحمد لشيء واحد دون جميع المحامد

جاء لفظ " الحمد " مبهماً ثم موضحاً أنه " لله " سبحانه وتعالى، وهذه وسيلة من وسائل توكيد المعنى وتقريره، فلمن يوجه الحمد فهو لله سبحانه وتعالى؛ لأنه محمود في ذاته وفي صفاته ومحمود لنعمه التي لا تعد ولا تحصى ومحمود لنعمة تنزيل القرآن الكريم الذي اشتمل على كمال الغاية في الدنيا و الآخرة .

(١) حديث صحيح مسند أحمد ج ٢١–١٣٧٥.

- والتعبير بالخبر في " الحمد لله " لغرض الدعاء أفضل من أي تقدير آخر.

جاء لفظ " الحمد " مقدماً .

- قدم " الحمد " على " لله " لأن التركيب هنا على أصل الترتيب وهو قصد المتكلم الإتيان به مقدماً؛ لأنه هو المطلوب [والمقصود ، أن تقديم لفظ (الحمد) في آية الفاتحة جرى على الأصل ، والتأخير في آية الجاثية لكونها في موقع تقدير الجواب] (١) .

فقصر وخصص الحمد لله دون أحد غيره فهو قصر حقيقي تحقيقي لينفي هذه الصفة عن كل أحد إلا لله وحده وكأنه قال – صلى الله عليه وسلم – ما الحمد إلا لله ، قال الله تعالى : (هُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ) [ﺒ: ٧٠ سورة القصص]فالله سبحانه وتعالى مختص بالحمد في الدنيا و الآخرة على جهة التفرد ، وقد علمنا الله سبحانه وتعالى كيفية حمده في كل الأمور في بداية الأمر كما افتتح بفاتحة الكتاب وأربع سور بالحمد ،وفي نهاية الأمر إذ اختتم أربع سور بالحمد وفي أثناء الأمر كما اشتملت بعض السور على الحمد فالحمد لله في كل الأمور وفي كل الأوقات .

وفي قوله "الحمد لله " إيجاز بالقصر حيث تضمنت معاني كثيرة من غير حذف ، فهي جمعت الحمد على ما قضى والشكر على جميع ما أنعم به وأولى من نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

(١) البرهان في علوم القرآن جـ٣ صـ٢٤٨ للزركشي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعرفة – بيروت – لبنان

وفي قوله: " الذي أنقذه بي من النار " :

أل في النار " للعهد؛ ليدل على أنها النار المعروفة وهي نار الآخرة، واختار لفظ النار دون غيرها؛ ليدل على تخليد الكافر في النار.

وإيثار لفظ النار دون غيرها من الألفاظ يسمى في البلاغة " ائتلاف اللفظ مع المعنى " وهو: " أن تكون الألفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له"[١]

وفائدته: " حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة. [٢]

(١) جواهر البلاغة ٢٣٢ .

(٢) النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل صـ ٨٨.

٢ – رفقه بالجاهل من غير تعنيف

ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال : " بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ جَاءَ أَعْرَابِي ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ أَصْحَاب رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم – : مَهْ مَهْ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم – : لَا تُزْرِمُوه(١) ، دَعُوْهُ ، فَتَرَكُوه حَتَى بَالَ ثُمْ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم دَعَاهُ فَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدُ لَا تَصْلُحُ لِشَيءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا القَذَرِ ، إِنَّمَا هِي لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَ جَل وَالصَلَاةُ وَقِرَاءةُ الْقُرْآن ، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم – ، قَالَ : فَأَمَرَ رَجُلاً مِنْ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنَ مَاءٍ فَشَنَّهُ (٢) عَلَيْهِ (٣) .

" بينما نحن في المسجد مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " في المسجد " أي المسجد النبوي الشريف.

---

(١) الإزرام : هو القطع ، والمعنى : لا تقطعوا عليه بوله ، يراجع لسان العرب (٢٦٣/١٢) مختار الصحاح (ص ١١٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٠١/٢).

(٢) فشنه : أي صبه ، لسان العرب (٢٤٢/١٣).

(٣)أخرجه البخاري في كتاب الوضوء – باب ترك النبي – صلى الله عليه وسلم – والناس ألإعرابي حتى فرغ من بوله في المسجد ٨٩/١ (٢١٦) وفي باب صب الماء على البول في المسجد ٨٩/١ (٢١٧) وفي كتاب الأدب – باب الرفق في الأمر كله ٢٢٤٢/٥ (٥٦٧٩) ومسلم في كتاب الطهارة – باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد ٢٣٦/١ (٢٨٥) وأبو داود في كتاب الطهارة – باب الأرض يصيبها البول ١٠٣/١ (٣٨٠) والنسائي في كتاب الطهارة – باب ترك التوقيت في الماء ٤٧/١ (٥٣) وابن ماجة في كتاب الطهارة وسننها – باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل ١٧٦/١ (٥٢٨) وأحمد بن حنبل (١٩١/٣).

إذا جاء أعرابي –من سكان البادية –فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم – : مه مه.

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا تزرموه: أي لا تقطعوا بوله ، والنهي هنا طلب ، و نهي الفعل على وجه الاستعلاء فهو نهي حقيقي أي دعوه حتى يكمل بوله ثم إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دعاه.

" ثُمْ إِنَّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – دَعَاهُ " :

عطف بـ " ثم " لتفيد التراخي أي بعد أن بال دعاه، فقال إن المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر.

وجاءت الجملة " إن المساجد لا تصلح لشيء من البول ولا القذر " خبرية مؤكدة؛ للاهتمام بالخبر ، ومن الممكن أن يكون الرسول – صلى الله عليه وسلم – استشعر أن المخاطب لا يقتنع بدليل أن الرسول أمر الصحابة أن يتركوه حتى بال ، وهذا الشعور اقتضى توكيد الخبر ؛ ليقنع المخاطب بأن المساجد لا تصلح للبول ولا القذر ، وعرف المساجد بـ " أل " الاستغراقية ليشمل أي مسجد ، وفي إيثاره للفعل المضارع " لا تصلح " ما يوحي باستمرار تجدد الحدث ، فهذا الحكم لا يختص بهذا الوقت بل هو متجدد في كل وقت وكل عصر فهذا حكم عام.

" هَذَا الْبَوْلَ "

استخدم – صلى الله عليه وسلم –اسم الإشارة " هذا " الموضوع للقريب لقصد تحقير المشار إليه، وهو البول.

إنما هي لذكر الله – عز وجل – والصلاة وقراءة القرآن، يخبرنا الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن حقيقة المساجد فبدأ الجملة بأسلوب القصر.

قصر المساجد على كونها لذكر الله، والصلاة وقراءة القرآن، وفي استخدام طريق القصر " إنما " بلاغة ودقة في التعبير حيث يوضح من خلالها ما هو معلوم متحقق ومتقرر في نفوس السامعين، فالمساجد لها مكانة لا يصلح فيها شيء من النجاسات وما هي إلا لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن، وتوكيد هذا المعنى من خلال أسلوب القصر ، كما أن في الجملة رداً على الإعرابي الذي بال في المسجد فقلب له حقيقة المسجد بأن المسجد لا يصلح فيه البول.

بدأ النبي – صلى الله عليه وسلم – بحرف " إنما " " اعلم أنه ليس يكاد وينتهي ما يعرض بسبب هذا الحرف من الدقائق " [١] وهو أداة تفيد القصر الذي يكسب الأساليب قوة وإيجازاً.

" الله " ذكر لفظ الجلالة " الله " لتربية المهابة في نفس السامع، الواو العاطفة في الصلاة وقراءة القرآن ؛ ليلفت الانتباه إلى ما ينبغي أن يلتزم به الإنسان في المسجد ويوضح حقيقته فكان التوسط بين الكمالين حيث اتحدت الجملة في الخبرية والمسند إليه واحد ،فالوصل زاد المعنى قوة وارتباطاً ، والجملة كلها خبرية واضحة المعنى قوية الأداء ووقع الوصل بين أجزائها لتناسب المعاني.

كما كان لـ" مراعاة النظير " وهي أن تجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد [٢] في قوله : " ذكر الله – الصلاة – قراءة القرآن وهي أمور

(١) دلائل الإعجاز : ٢٣٨

(٢) بغية الإيضاح ١١/٤

متناسبة يدرك التناسب بينهم فضل في تحسين الكلام وائتلاف الألفاظ وسلاسة الأسلوب ، فالتناسب بين الألفاظ عنصر أساس في بلاغة الكلام ، وعامل معنوي في حسنه وجودته وبه أصبح الكلام محكم التأليف فهذه الألفاظ المتناسقة التي وضحت المعنى جعلت الكلام محكماً ؛لغرض الإقناع والتأثير.

وتري المحسن البديعي الجناس بين "دعوه ، و دعاه" أحدث تناغماً واضحاً في التركيب ، وأكسب النص إيقاعًا داخليًّا يجذب السمع، ويحمل على الميل والإصغاء وهذا الإيقاع يجذب آذان المتلقي لإقناعه ، فلا يخفي ما يحققه الجناس من توافق صوتي له وقع في نفس السامع لغرض الإقناع والتأثير.

فالرفق بالجاهل من غير تعنيف بيَّن رفق النبي – صلى الله عليه وسلم – ورحمته ورأفته بأمته.

٣-رفقه –صلى الله عليه وسلم –بالحيوان

روى أبو داود عن سهل بن الحنظلية قال : مر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال : " اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة. (١)

هذا حديث عظيم يأمرنا فيه النبي – صلى الله عليه وسلم – بتقوى الله في البهائم المعجمة، وأن نرعاها ؛ فتكون صالحة للركوب والأكل.

وبهذا ضرب لنا الرسول – صلى الله عليه وسلم – الأسوة الحسنة في الرفق بالحيوان؛ لتتخذ منه صلى الله عليه وسلم منهاجاً نقتدي به.

(١) صحيح أبو داود للألباني حديث ٢٢٢١.

صدر الحديث يبين مغزاه ومقصده وهذا ما يسمى ببراعة الاستهلال يقول ابن رشيق " إن حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجاح ". [١]

" اتقوا الله " بدأ– صلى الله عليه وسلم – الحديث بالجملة الإنشائية " اتقوا " وهذا الأسلوب الإنشائي الطلبي " الأمر" أمر حقيقي لصدوره من الأعلى – صلى الله عليه وسلم – إلى الأدنى " المؤمنين " على سبيل الوجوب والإلزام، وصيغته فعل الأمر".

" هذه البهائم " عرف المسند إليه " هذه " باسم الإشارة؛ لتميزها أكمل تمييز؛ لأنهم ظلموا البهائم وألحقوا بها الضرر، فكان الأحرى لهم الإيقاظ بطريق اسم الإشارة؛ وللتنبيه على الضرر الذي لحق بالمشار إليه من حيث إنه لحق ظهره ببطنه.

وعمل اسم الإشارة " هذه " على ربط تركيب الجملة ، فهو يعد رابطاً لفظياً لارتباطه بالمشار إليه " البهائم " ،ومجيء اسم الإشارة " هذه " للقريب مناسبة مع هؤلاء القوم الذين غفلوا عن الرحمة بالبهائم.

كما أن اسم الإشارة مشرب بالتبكيت من هؤلاء القوم الغافلين لعدم الاعتناء بالبهائم حتى لحق بها الضرر؛ لذا جاء التعبير بالإشارة؛ لأنه الأنسب للفت أنظار السامعين واستحضار المشار إليه " البهائم ".

على مقتضى الأصل فهو يراها – صلى الله عليه وسلم – أمامه وكان الداعي لهذا الاستحضار هو الشفقة؛ لأن المشار إليه صار محسوساً مشاهداً وأيضاً المبالغة في تحذيره – صلى الله عليه وسلم – من إهمالهم للحيوان وحثهم على الرفق به وإلى مزيد من الرحمة بالبهائم المعجمة، ويأتي

---

(١) العمدة جـ١ : ٢١٧ .

بعد اسم الإشارة الاسم المعرف باللام " البهائم" الواقع بياناً أو بدلاً من اسم الإشارة.

وهنا يتمكن المشار إليه في الذهن فضل تمكن ؛لأنه – صلى الله عليه وسلم – عبر عنه من طريقين الأول مبهم وهو اسم الإشارة " هذه " والآخر " البهائم " وفيها وضوح وبيان ،وبهذا يتمكن المعنى في النفس أفضل تمكن " لأن المعنى إذا ألقى مجملاً تشوقت النفس إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح فإذا جاء تمكن فيها خير تمكن وكان شعورها به أتم وأوفى". [1]

وفي العطف بـ " الفاء " " فاركبوها " دلالة على سرعة العطف عليها والشفقة بها دون تمهل أو تراخ . وفي تقديم " اركبوها " على " كلوها " دلالة على أنهم إذا عطفوا عليها واعتنوا بها صارت قوية صالحة للركوب ولم تعد هزيلة ضعيفة مريضة فتكون صالحة للأكل أيضاً.

وعطف كلوها صالحة على ما قبلها للتوسط بين الكمالين فالجملتان إنشائيتان لفظاً ومعنى.

وجاءت جملة الخبر باسم الفاعل" صالحة " ؛ لدلالة اسم الفاعل على الفعل وصاحبه ، كما أضاف اسم الفاعل دلالاته على ثبوت الصفة في الموصوف، فاسم الفاعل كما قال ابن هشام هو ما دل على (هو ما دل على " الحدث والحدوث وفاعله .(2)".

([1]) شروح التلخيص جـ٢٣ صـ ٢٧ .

(2) ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك ،تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، ج٣/٢١٦.

وقوله – صلى الله عليه وسلم " صالحة " – صالحة "تكرار دل على معنى الجملة بتوكيدها

وهذا النوع من التكرار يسمى التكرار الختامي حيث جاء في نهاية الجملتين؛ لتقوية النغم في الكلام؛ وليترك أثرًا قويًّا في إقناع المتلقي فالكلمة المكررة "صالحة "أفادت زيادة المعنى من خلال النغم، وأحدثت تناغماً واضحاً في التركيب أكسب النص موسيقى داخلية تأسر النفس، وتجدب القلوب.

كما عملت على توكيد الجملة للتأثير في المتلقي وإقناعه.

٤- رفقه – صلى الله عليه وسلم – بالخادم

عن أنس بن مالك قال : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لي " أفاً قط ولا قال لي لشيء صنعته لِمَ صنعته ولا لشيء تركته لِمَ تركته وكان رسول الله من أحسن الناس خلقاً "[1]

يوضح الحديث أدباً من آداب النبوة في تعامله ورأفته ورفقه – صلى الله عليه وسلم – بالناس ، فعندما جاءت أم أنس بأنس لخدمة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهو في سن العاشرة ظل أنس – رضى الله عنه – يخدم النبي – صلى الله عليه وسلم – عشر سنوات ولم يظهر – صلى الله عليه وسلم – له أي تأفف أو ضيق أو ضجر ولم يعنفه على أي تقصير ولو بكلمة " أف " وهي أدنى الكلمات التي تعبر عن الضجر.

ويأتي الحديث فياضًا بالوسائل البلاغية في إيجاز فجاء الأسلوب معتمداً على الأسلوب الخبري وغرضه بيان رفق النبي – صلى الله عليه وسلم –

(1) أخرجه البخاري (٦٩١١) ومسلم (٢٣٠٩).

واستهل الأسلوب بالفعل الماضي " خدمت " للدلالة على تحقق الخدمة فالخدمة للرسول – صلى الله عليه وسلم – حاصله ومؤكدة .

" والله ما قال لي " زادت الصورة فاعلية بالقسم الذي يؤكد أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يظهر منه ضيق أو تأفف لأنس – رضي الله عنه – طيلة هذه السنوات.

فأسلوب القسم يحمل التوكيد والإقناع وإقامة الحجة من أجل محو أي شك في ذهن السامع فهذا القسم لا حجة بعده فهو يؤكد على رفق وحسن خلق النبي – صلى الله عليه وسلم – بخادمه فالقسم من أنس – رضي الله عنه – يعد أسلوباً من الإقناع والتأثير من المتلقي.

في قوله : " ما قال لي أفاً قط " نفى أنس -رضى الله عنه- أن تأفف منه صلى الله عليه وسلم وفي هذا

توضيح رفقه صلى الله عليه وسلم بخادمه حيث إن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يقل له طيلة هذه السنوات " أف " وهو صوت يصدر عن الإنسان في حالة ضجره فحتى هذا الصوت لم يصدر منه – صلى الله عليه وسلم – فترى بلاغة أنس في اختياره أضعف حروف اللغة العربية صوتاً " الفاء ". ليشي برفقه بخادمه

في قوله : " ولا قال لي لشيء صنعته لِمَ صنعته ولا لشيء تركته لِمَ تركته " :

زادت الصورة فاعلية بتنكير " شيء " للدلالة على التعميم أي أي شيء.

وأيضاً نكر كلمة شيء للتقليل ليدل على أنه – صلى الله عليه وسلم – لم يعقب على فعله ولو كان شيئاً قليلاً.

جاء تكرار لفظ " صنعته و صنعته " ، " تركته – تركته " : للتفصيل وليظهر خلفها حسن خلق ورفق النبي – صلى الله عليه وسلم – بخادمه ولتذكير المخاطبين باستمرار بحسن خلقه – صلى الله عليه وسلم – في كل الأحوال، ولا يخفي ما لهذا التكرار من إظهار الجانب الإيقاعي، حيث يقوم بتعميق الدلالة للفظ المكرر وهذا يساعد في إظهار الترابط والتماسك بين أجزاء النص فهو حقق توافقاً وانسجاماً بين الإيقاع الصوتي من خلال تكرار الكلمات، وهذا يسهم في تحقيق الإقناع لدى المتلقي.

وهذا كناية عن حسن خلق النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى يستقر المعنى في ذهن المتلقي والكناية وسيلة من وسائل التأثير والإقناع للإبلاغ في لفظ موجز ومعنى عميق.

وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من أحسن الناس خلقاً " أل في الناس للعموم و"خلقاً" جاءت على التميز فدل ذلك على أنه– صلى الله عليه وسلم – أفضل الخلق على الإطلاق حيث إن اسم التفضيل "أحسن" أضيف إلى معرفة "الناس " فدل ذلك على تفضيل المفضّل على جميع من أضيف إليهم، فوظف صيغة اسم التفضيل لتلقي بظلالها الدلالية وتضفي مزيداً من الإقناع بما جبل عليه – صلى الله عليه وسلم – فهو من أحسن الناس خلقاً وهذا لا يختلف عليه.

٥ –رفقه – صلى الله عليه وسلم –بالدين

١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق " [1]

(1) صحيح الجامع للبخاري ٢٢٤٦ وأحمد ٩٨/٣ (١٣٠٧٤).

هذا الحديث بعبارته الموجزة وشمول معناه من جوامع الكلم حيث يبين الرسول – صلى الله عليه وسلم – حقيقة هذا الدين وأنه متين فلا تحملوا أنفسكم ما لا تطيقونه في النوافل فتعجزوا – وادخلوا فيه بتدرج حتى تصلوا إلى ما تريدون .

استهل – صلى الله عليه وسلم – الأسلوب بوسيلة التوكيد " إن " ليؤكد متانة هذا الدين، واستخدم الجملة الاسمية " إن هذا الدين متين " ليرسخ الدين في نفوس المسلمين ،وليفيض الدوام حتى يثبت المعنى في ذهن المخاطب ، ولا يخفي ما يمثله اسم الإشارة " هذا " من دلالة التفخيم والتعظيم للدين وما فيه من إشارة واضحة على التميز.

فغرض الرسول – صلى الله عليه وسلم – الإفادة والإقناع بالحجة والدليل والبرهان.

" فأوغلوا فيه "

تعد هذه الجملة سببية أو مما يسمى بالارتباط السببي وهو وسيلة من وسائل الترابط الدلالي في النص ؛لأنه يربط السبب بما قبله.

واستخدم الرسول – صلى الله عليه وسلم – أسلوب الأمر لا ليلزم على الفعل بل ليقنع بضرورة الدخول فيه برفق ،فترى أسلوب الأمر خرج عن معناه الحقيقي إلى النصح والإرشاد بضرورة الرفق في الدين فهيأ الرسول – صلى الله عليه وسلم – نفس المتلقي حيث تلقى رسالته – صلى الله عليه وسلم – الإقناعية وتفاعل معها .

استعان الرسول – صلى الله عليه وسلم – بأسلوبه البليغ وأدائه لتوضيح حقيقة هذا الدين وأنه متين.

بقوله صلى الله عليه وسلم " أوغلوا فيه "

فهذه الجملة استعارة مكنية حيث شبه الدين بشيء محسوس يمكن أن يدخل فيه ، حذف المشبه به ،ورمز إليه بشيء من لوازمه " أوغلوا " ، فصور الدين بصورة شيء يعلمه المتلقي ، فترى فاعلية الاستعارة في التناسب مع ما يقتضيه السياق فأسهمت في توضيح المعنى وإقناع المتلقي، فالاستعارة لها أثر واضح في ترسيخ المعاني فأصبحت مقوماً إقناعياً لها قدرتها على التأثير والإقناع

٢- عن أبي هريرة -رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم " قال :إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة " [1]

يحثنا الرسول – صلى الله عليه وسلم – في عدم الغلو والتكلف في الدين فالله عز وجل جعل الدين يسراً ليس فيه مشقة فينبغي أن نأخذ منه ما تيسر بصوم نوافل أو من المستحبات مع الفرائض وكذلك الصدقة من دون تكلف، فعلينا التسديد في العمل والمقاربة لما أوجب الله والحذر من الزيادة والغلو ، والبشر بالأجر الكبير.

في قوله : " إن الدين يسر "

فالدين شريعة سهلة ميسرة، ونحن قادرون على الإتيان بحكمها؛ لأن الله عز وجل لم يكلفنا فيها ما لا نطيق – ومن عجز عن التكاليف فتارة يسقط عنه التكليف وتارة يسقط لفترة معينة فالدين يسر أي لا يكلف الإنسان نفسه بأمور لم يطالبه الله عز وجل بها.

([1]) أخرجه البخاري – كتاب الإيمان – باب الدين يسر (١٧/١) رقم (٣٩).

" **إن الدين يسر** " جاء التوكيد في الجملة ؛ليدل على أن الفرائض كلها يسر في أصل التشريع، و إذا طرأ ما يوجب الحاجة إلى التيسير يسر أي لا مشقة فيه ولا تكليف يعجز عنه المكلفين بل إن الفرائض على قدر استطاعة الإنسان.

" **لن يشاد الدين أحد إلا غلبه** "

أي لن يطلب التشدد في الدين إلا غلب وترك ما كان يواظب عليه فإذا تشددت وطلبت الشدة غلبك الدين .

" **لن يشاد الدين أحد إلا غلبه** "

استعان – صلى الله عليه وسلم – بالنفي والاستثناء لما له من طاقة في توجيه المخاطب وإقناعه فيوجه القول بالنفي والإثبات على مقتضى الشك والإنكار، فالتصريح بالنفي لتعدد الإمكانات التي تدور بذهن المخاطب وورود الجمل دون قصر سبب لتعدد الاحتمالات إما إذا وردت الجملة بالقصر، فتتعين الحقيقة ويتضح الأمر وذلك لتحديد إمكانية واحدة من الإمكانات.

فأسلوب القصر شغل وظيفتين الأولى التصريح بالنفي المفهوم من الجملة الأولى وتعينه والأخرى: توكيد مفهوم المقصور " يشاد الدين " فمن تكلف في الدين غلبه الدين فالمقصور عليه " غلبه " توكيد و حصر لاستلزم واحد هو التشديد فكان للقصر طاقة في توجيه المخاطب وإقناعه.

" **فسددوا وقاربوا وأبشروا** "

سدد أي فعل الشيء على جهة السداد فإن تعسر فقارب ، و " أبشروا " أي أبشروا بالثواب العظيم للتسديد ، أو المقاربة ، وأبشروا وفي الحديث لون

بديعي وهو التفويف فقد أتى – صلى الله عليه وسلم – بجمل متساوية المقادير قصيرة التراكيب " سددوا – قاربوا – أبشروا) وموسيقى الألفاظ تشهد بسرعة الأفعال.

فالمحسن البديعي لم يقتصر على التزيين والحلية اللفظية إنما له الدور الأكبر في صناعة المعنى وإقناع المتلقي.

" واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة "

استعينوا بالله –عز وجل– واعملوا في أوقات نشاطكم حتى لا تملوا ولا تسأموا من العبادة وذلك مثل من يسافر في أول النهار فيصل إلى مقصوده من غير مشقة.

وهو كحال المسافر سفراً طويلاً ينظر في الأوقات التي تجعله يقطع مسافة طويلة دون ملل وهي أول النهار وآخره والسير في آخر الليل أي يقطع المسافة ويستريح ويقطع المسافة ويستريح، فيجد أن المسافة الطويلة انقطعت دون أن يشعر بها أي في العبادة ،فلا تعمل عملاً متواصلاً كصلاة طول الوقت أو قراءة قرآن طول الوقت أو صيام طول الوقت ولكن شيئاً فشيئاً تصل إلى ما تريد .فالصورة تشحن المتلقي بطاقات إقناعية للاقتناع بالمطلوب .

والجمع بين الضدين " الغدوة – الروحة " يكشف عن مفارقة عجيبة حيث إن الإنسان في هذه الأوقات يقطع من العمل ما لا يقطعه في غيرها ففيها سهولة ويسر ونشاط .

وفي هذا كناية عن عدم المواصلة في الفرائض حتى لا يمل الإنسان والغرض من هذا هو إيضاح المعنى وتوكيده حتى يصل إلى إقناع المتلقي

بطريقة ناجحة، وبلاغة الإقناع بالكناية تكمن في التواصل بين متكلم يقصد الإقناع ومتلق يريد الوصول إلى المعنى المراد بدلًا من المعنى الظاهر في أسلوب تلميحي فهي تترك مجالاً لإقامة علاقة تؤدي إلى الإقناع العقلي بالحقيقة التي يريد المتكلم إثباتها .

٦-رفقه – صلى الله عليه وسلم –بالمرأة وبالطفل الرضيع وأمه

١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : "كان النبي صلى الله عليه وسلم في مسير له فحدا الحادي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارفق يا أنجشه ويحك بالقوارير".[1]

الرسول – صلى الله عليه وسلم – يسافر ببعض نسائه ويهيئ لهن الركائب ويرفق بحالهن ويوصي خادمه عليهن بأن يرفق بهن في حدوه لأنهن كالقوارير ينبغي معاملتهن بلطف ورفق ؛ لأن أقل شيء يؤثر فيهن ،فلا بد أن يرفق بحالهن من أن تتألم إحداهن بكثرة الحركة والاضطراب أو تسقط من سرعة الإبل بسبب حدو الحادي.

وللتصوير الاستعاري دور رائع في الحديث حيث استعار – صلى الله عليه وسلم – القوارير لنسائه استعارة تصريحية أصلية، فالمرأة في رقتها ولطافتها وضعف جبينها.

تشبه القوارير: _ جمع قارورة وهي إناء من زجاج سهل الكسر –

ولا يوجد أجمل من تشبيه المرأة بالقارورة والجامع لها سهولة الكسر فكما تكسر القارورة كذلك المرأة ممكن أن تجرح بكلمة فيصابها ضرر نفسي أو بإهمالها أو عدم إحساسها بأهميتها وإما أن يكون الجامع سرعة التأثر فالمرأة تركيبها ضعيف فمن أقل شيء يضعف قلبها وينكسر أو يكون الجامع

(1) صحيح البخاري ٨/٢٥ (٦١٤٩).

الوضوح كما أن القارورة الصافية تظهر ما بداخلها كذلك المرأة تظهر ما بداخلها من حب إن امتلأت حباً واهتماماً والعكس.

" ارفق"

استخدم – صلى الله عليه وسلم – الأسلوب الإنشائي " الأمر " وصيغته فعل الأمر ، فالأمر يتضمن إنجاز الأفعال فهو يشمل دعوة توجيهية للمتلقي وذلك لإقناعه بالرفق.

ويتضح لنا من هذا اللفظ رفق النبي – صلى الله عليه وسلم – بالخادم فلم ينهره أو ينفعل عليه بل قال له ارفق نظراً لرقتهن وتأثرهن بما يقال لهن.

جملة " بالقوارير " فيها إيجاز قصر حيث عبرت عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة.

فعليك أن ترفق بالمرأة وتعاملها بما يتوافق مع معاني الأنوثة الموجودة فيها وأن تكرمها وتلاطفها وتسمع لها وأن لا تجرح مشاعرها وأن تتغاضى عن عيوبها وأن تسامحها وأن تساعدها في مهامها وأن تعطيها من ما تحب– في حدود المتاح –وأن ترفه عنها حتى تكون على نهج الرسول – صلى الله عليه وسلم.

٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم " إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه "[1] .

([1]) رواه البخاري – كتاب الأذان – باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي (١٤٣/١) برقم ٧٠٧..

هذا الحديث من الأحاديث التي تدعو المسلمين إلى الرفق اقتداء بالرسول – صلى الله عليه وسلم – فقد كان رفيقاً مراعياً لحال بكاء الصبي وحال قلب أمه شفقة ورحمة بقلبها الذي ينشغل ببكاء صبيها ،ولذلك يوجز في صلاته فهذه أخلاق النبي – صلى الله عليه وسلم – التي يظهر من خلالها رفقه ولطفه ورحمته وتيسيره فلنتأسى به – صلى الله عليه وسلم – حتى ننال الخير ".

" إني لأقوم في الصلاة و أريد أن أطول فيها "

المخاطبون لا ينكرون أنه يقوم صلى الله عليه وسلم للصلاة ويطول فيها فهم غير منكرين لهذه الحقيقة ؛ولذا كان عليه – صلى الله عليه وسلم – أن يلقي عليهم الخبر خالياً من التوكيد ولكنه – صلى الله عليه وسلم – نزل غير المنكرين منزلة المنكرين فجاء الخبر على خلاف مقتضى الظاهر وألقى إليهم الكلام مؤكداً ليؤكد لهم أن هذا ما كان سيفعله لولا رفقه بالصبي الرضيع ورفقه بانشغال قلب أمه عليه.

فغرض الرسول – صلى الله عليه وسلم – إفادة الصحابة وإقناعهم بالرفق من خلال أفعاله– صلى الله عليه وسلم –.

وفي تعريف " الصلاة " : بالألف واللام لإرادة العهد الذهني والمراد الصلاة المكتوبة أي صلاة الفرض.

عطف جملة "وأريد أن أطول فيها " على ما قبلها للتوسط بين الكمالين حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظاً ومعنى ، فالواو للعطف والإشراك أكد الوحدة بين الجملتين ، فالوصل بين الجملتين له دور في

الإقناع؛ لأنه يدفع السامع إلى التفاعل مع النص وعبّر بالضمير "فيها " ليقرع الآذان ويجذب الانتباه لغرض اقناع السامع

(**فأسمع**) : الفاء أداة تفسير واستنتاج تربط بين النتيجة والحجة من أجل التوضيح، فالفاء جمعت بين جملتين في الدلالة على التقارب و بينت مسارعته– صلى الله عليه وسلم – إلى الصبي فور سماعه بكائه دون مهلة.

"**أسمع بكاء الصبي**"

عبر بالفعل المضارع " **أسمع** " لقصد استمرار بكاء الطفل وأمه تصلي ، حيث إن الفعل المضارع يفيد الاستمرار والتجدد.

وفي تعريف " **بكاء الصبي** " بالإضافة ليفيد ملازمة البكاء لهذا الصبي كما أنه يشير إلى التعريف بحال الباكي ؛ لأنه لو قال " بكاء " لذهب الوهم إلى أن البكاء ليس لصبي بل لغيره ، فالغرض من التعريف دفع توهم غير المراد ابتداء .

"**فأتجوز في صلاتي**" **أي اختصر فيها**

أدت " الفاء " إلى المسارعة في الاختصار في الصلاة دون مهلة فالفاء دلت على سرعة استجابته – صلى الله عليه وسلم – لحال الطفل .

فترى – صلى الله عليه وسلم – انتقاءه للمفردات حتى صار لكل حرف خصوصية لا يقوم بها غيره ، وعبر بالفعل المضارع " أتجوز " ليحضر مشهد الاختصار ،وكأن العين تراه وهو يختصر في صلاته؛ ليبرز هذه الصورة ويقررها في ذهن السامع لأجل الإقناع والتأثير فيه ، ووضع الظاهر " صلاتي " موضع الضمير فيها ؛ لزيادة تمكين المعنى وتقريره في نفس السامع، وأدت بلاغة الجملة الخبرية " أتجوز في صلاتي " دورها في

بيان الحث على رفق الإمام بالمأمومين ففيهم الضعيف والمريض وصاحب الحاجة وفيهم من ينشغل قلبه بصغيره.

" كراهية أن أشق على أمه "

فصل بين الجملة وما قبلها؛

لشبه كمال الاتصال ،فهذه الجملة جوابٌ لسؤال أثارته الجملة الأولى ، فجملة " أتجوز في صلاتي " وضحت سبب عدم التطويل في الصلاة كراهية المشقة على قلب الأم ورأفة بالصغير ، فالفصل بين الجملتين كان وسيلة من وسائل إقناع المتلقي والتأثير فيه، وهذا يوضح لنا حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم – على تعليم أمته وإقناعهم بالرفق سلوكًا في كل الأمور حتى في العبادات من خلال بلاغته صلى الله عليه وسلم التي ساعدت على تحريك خيال السامع لإقناعه وللتأثير فيه.

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين عدد ما وسعه علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله ، وبعد دراسة " **بلاغة الإقناع في الرفق دعوة وسلوكًا في الأحاديث النبوية** " أشير إلى أبرز نتائج الدراسة على النحو الآتي:

١. أن الآليات البلاغية توافرت في الأحاديث النبوية؛ لإقناع المتلقي فسلك – صلى الله عليه وسلم – في بيان الرفق دعوة وسلوكًا مسلكاً واضحاً في اختيار التراكيب الدالة، واستطاع– صلى الله عليه وسلم – ببلاغته إقناع المتلقي بالرفق؛ لأنه منهج الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وجاءت الأحاديث مبينة قيمة الرفق في حياة الفرد والمجتمع.

٢. أن الأسلوب النبوي مزج بين الخبر والإنشاء، وكان الأسلوب الإنشائي سواء أكان أمرًا أم نهيًا محققاً للقرب، واستمالة المخاطب والتأثير فيه، وزاد من ذلك وضوح معاني الأحاديث من خلال اختيار الألفاظ والتراكيب السهلة الخالية من الألفاظ الغريبة.

٣. أن أسلوب الشرط أدى دورًا بارزًا في تماسك النص وحبكه من خلال ربط النتيجة بالسبب؛ لإيضاح المعنى المقصود، وتأسيس نوع من القياس يقود المتلقي إلى النتيجة.

٤. أن أساليب القصر تنوعت في أحاديثه – صلى الله عليه وسلم – واعتمدت التوكيد لترسيخ الفكرة وتقويتها، و وأن أسلوبي القصر والمقابلة من عناصر الحبك الدلالي في النص ، وكان له دوره في إيضاح المعنى.

٥. أن الوصل والفصل برزا في أحاديثه – صلى الله عليه وسلم – لكثرة فوائده، و تكمن بلاغة التكرار في توكيد المعنى المراد وإبرازه ، و ترسيخ

الأفكار في ذهن المتلقي ، فترديد فكرة معينة ما هي إلا محاولة لإقناع المتلقي بالمعنى المقصود ، وكان للإيجاز بلاغته وللإطناب بلاغته، والمقام هو الذي يستدعي أحدهما دون الآخر، فبلاغة الرسول – صلى الله عليه وسلم – تتضمن الوضوح والإقناع والإمتاع و فيها الاستدلالات والقياسات.

٦. أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – اهتم بالإقناع في أحاديثه عن الرفق لما فيه من قوة الحجة حتى يغير بعض السلوكيات الخاطئة التي ظهرت أمامه، فمكن الرسول – صلى الله عليه وسلم – حقيقة الرفق في القلوب والعقول؛ ليكون الرفق منهج حياة الفرد والجماعة.

٧. أن بلاغة الرسول – صلى الله عليه وسلم – في الإقناع بالاستعارة تناسبت مع ما يقتضيه السياق، فكان لها الأثر الواضح في ترسيخ المعاني، فأصبحت مقوماً إقناعياً له القدرة على استمالة المخاطب.

٨. أن بلاغة الإقناع بالكناية تكمن في التواصل بين المتكلم والمخاطب بقصد الإقناع بالمعنى المراد بدلًا من الوقوف أمام المعنى الظاهر، وذلك في أسلوب تلميحي فهي تترك مجالاً لإقامة علاقات تؤدي إلى الإقناع العقلي بالحقيقة التي يريد المتكلم إثباتها.

٩. أن الألوان البديعية ظهرت في الأحاديث النبوية؛ لتخدم المعنى فلم تذكر بوصفها حلية لفظية، بل تفاعلت مع التراكيب والصور، وجاءت مطبوعة بعيدة عن التكلف، وأدت دورها في الكشف عن دلالات السياق؛ لإقناع المتلقي، وأحدثت تناغمًا صوتيًا يأسر القلوب وتطرب له الآذان، فيتمكن المعنى في النفس، ويحدث الإقناع والتأثير.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، ابن هشام ،تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية، د. ت.
٣. البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعرفة – بيروت – لبنان
٤. البرهان في وجوه البيان أبي الحسين اسحاق بن إبراهيم بن سليمان ابن وهب الكاتب تحقيق الدكتور حفني محمد شرف مكتبة الشباب القاهرة
٥. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة عبد المتعال الصعيدي
٦. البيان والتبين – عمرو بن بحر الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون
٧. التفسير الكبير – للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي البكري – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان
٨. جواهر البلاغة (المعاني والبيان و البديع)– أحمد الهاشمي القرشي ١٩٠٥ – تحقيق يوسف الصميلي – المكتبة العصرية – بيروت.
٩. دلائل الإعجاز – الإمام عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود شاكر – الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ
١٠.سنن ابن ماجة الإمام المحدث أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني تحقيق محمود محمد محمود حسن نصار دار الكتب العلمية

١١.سنن الترمذي للإمام المحدث أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ت ٢٩٧هـ محمود محمد محمود حسن نصار دار الكتب العلمية

١٢.سنن أبي داود الإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ت ٢٧٥هـ –حققه شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قره بللي – الرسالة العالمية

١٣.سنن النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني النسائي ت ٣٠٣هـ تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة

١٤.شروح التلخيص مختصر سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني – مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ابن يعقوب المغربي – عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح بهاء الدين السبكي دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان

١٥.صحيح مسلم بشرح مسلم – أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧ هـ) – دار أحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ .

١٦. الصناعتين – أبو هلال العسكري – تحقيق د/ مفيد قمحه – الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م – دار الكتب العربية.

١٧.عمدة القاريء شرح صحيح البخاري أبو محمدمحمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى ٨٥٥ هـ).

١٨.العمدة في محاسن الشعر وآدابه – تأليف أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني – تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا.

١٩.فتح الباري بشرح صحيح البخاري أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني "ت ٨٥٢هـ " حققه محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب دار المعرفة –بيروت ١٣٧٩هـ .

٢٠.لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت٧١١ هـ) دار صادر بيروت – الطبعة الأولى

٢١.مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي.

٢٢.المسند أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني المتوفى (٢٤١ هـ) مؤسسة قرطبة – القاهرة.

٢٣.المعاني في ظلال النظم القرآني ١٨٦/١ ، أ هاشم الديب.

٢٤.مفاتيح العلوم لـ محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي – تحقيق إبراهيم الأبياري ط٢ ، دار الكتاب العربي للنشر .

٢٥.مقاييس اللغة أحمد بن فارس – تحقيق عبد السلام هارون – دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٧٩م.

٢٦.منهاج البلغاء وسراج الأدباء حازم القرطاجني ، تحقيق الحبيب بن الخواجة – الدار العربية للكتاب – تونس – ٢٠٠٨

٢٧.النكت في إعجاز القرآن لعلي بن عيسى بن علي أبو الحسن الرماني المحقق محمد خلف الله – د/ محمد زغلول سلام الناشر : دار المعارف مصر– الطبعة الثالثة ١٩٧٦م.

٢٨.النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين المبارك بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري المعروف بـ ابن الأثير – المتوفى ٦٠٦هـ – خرج أحاديثه وعلق عليه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضه – دار الكتب العلمية – بيروت

فهرس الموضوعات

المستخلص
المقدمة
المدخل
المبحث الأول: بلاغة الإقناع في دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – للرفق
المبحث الثاني: بلاغة الإقناع في سلوك الرفق للنبي – صلى الله عليه وسلم
١)رفقه صلى الله عليه وسلم بغير المسلمين.
٢)رفقه بالجاهل من غير تعنيف.
٣)رفقه –صلى الله عليه وسلم –بالحيوان .
٤)رفقه – صلى الله عليه وسلم –بالخادم .
٥)رفقه – صلى الله عليه وسلم –بالدين.
٦)رفقه – صلى الله عليه وسلم –بالمرأة وبالطفل الرضيع وأمه .
الخاتمة.
المصادر والمراجع.
فهرس الموضوعات.